

التأثير الصوفي في شعر إقبال ومواقف المترجمين العرب من ترجمته العربية

- جاويد أحمد پال

مدخل:

يعتبر محمد إقبال من أكبر شعراء الشرق في العصر الحديث، فقد نقل شعره إلى شتى اللغات بما فيها اللغة العربية. وكلامه هذا يتسم باللهو ببعض التقاليد الفارسية لاسيما تلك التي لها بذور عميقة في التصوف الفارسي، والتي واجه المترجمون العرب صعوبة في نقلها إلى العربية، فخابوا في ترجمتها وفق معطيات الأصل، لاجئين إلى التصرف والتحريف، وزدّ على ذلك قناعات بعض المترجمين الخاصة تجاه الطابع الصوفي على شعره، فحين تناولها صاوي شعلان وحسين مجيب بالتصريف لكي تصلح للنفسية العربية والإسلامية، حذف عبد الوهاب عزام بعض الأجزاء التي خشي أن تسبب سوء الظن بالشاعر أو الخلاف في المجتمع أو التي لم تنفعل بها عاطفته. فبالرغم من الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء المترجمون، لم تنقل بعض الملامح لهذا الشعر إلى العربية كما ينبغي.

التصوف بين الشعر العربي والشعر الفارسي:

التصوف ظاهرة معروفة في كلّ الحضارات والأديان، قد أخذ أشكالاً مختلفة وفق الثقافات والظروف المتباينة التي نشأ فيها، وذلك بسبب الاختلاف في طبيعة هذه الثقافات والظروف، ولكن العقيدة المشتركة في جميع هذه الأشكال المختلفة هي إمكانية الاتصال المباشر مع الحقيقة المطلقة أو مع ما هو المقدس بالتجربة الداخلية، فبادئ ذي بدء لم يمنح الإسلام فرصاً كثيرة لاتجاهات الزهد أن تنتظم في فلسفة مستقلة للتصوف، وذلك لكونه ديناً يشمل رسالة إلهية للفرد والجماعة معاً، ولاتجاهه نحو الداخل والخارج في الوقت نفسه، وفضلاً عن أن البيئة العربية التي حلّ فيها الإسلام لم تكن تسمح لأحد بالفرار من واقع الحياة.

مجلة الهند

ولما دخلت الشعوب الأخرى في حظيرة دين الإسلام الحنيف؛ وتغيّرت الأوضاع السياسية والاجتماعية؛ وامتزجت الثقافات المختلفة بعضها ببعض، انتظم التصوف في شكل الحركة الدينية والثقافية في هذا المحيط الاجتماعي المخلوط. وانعكست هذه التغيرات على الأدب- والأدب مرآة الحياة- ووجد التصوف فن الشعر خير وسيلة له للتعبير عن نفسه، إذ أن أداة الإدراك عند الصوفي هي نفس أداة الإدراك عند الشاعر، و كلاهما يسقيان من ينبوع واحد، فيشبه الشاعر الصوفي في التجربة الجمالية، يقول محمد منصور: "هذه الرؤية أو التجربة الجمالية التي يمرّ بها الفنّان تشبه تجربة أو رؤية الصوفي، وإن اتجه الشاعر نحو الكلام ضرورة ومال الصوفي إلى السكوت في كثير من الأحيان، فيتشابه الشاعر مع الصوفي في الوسيلة ويتحد معه في الهدف، فكلاهما لا يعول على المنطق، و يضع العقل بعد القلب في الترتيب، وكلاهما يهدف إلى تكوين رؤية للعالم"¹. ولكن الشعر العربي لم يفسح للتصوف مجالاً قدر ما فسح له الشعر الفارسي، والشعر العربي ما زال أقرب إلى الواقع في أغلب أشكاله مقارنة بالشعر الفارسي الذي اتسع لما وراء الواقع أكثر منه، بالإضافة إلى ذلك، كان المتصوفون الكبار ينتمون إلى بلاد الأعاجم، وأنهم أثروا اللغة الفارسية بأعمالهم الشعرية وأثروها، وأما الذين كتبوا بالعربية حول تجاربهم الصوفية سواء أ كانوا العرب أم غير العرب أمثال محيي الدين بن العربي، وأبي حامد الغزالي، وحسين بن منصور الحلاج وشهاب الدين السهروردي وغيرهم فكانت جلّ إنتاجاتهم في النثر العربي العلمي. وأما ما أوثّر عن ذي النون المصري، ورابعة البصرية وسري القطي وغيرهم من الشعر الصوفي فقليل نادر أو بسيط جداً. كان شعرهم يمتاز بالعاطفة الصادقة الساذجة ولكنه يفقد روعة الفن أحياناً كما يفقد رمزية الشعر الصوفي، وأما ديوان 'ترجمان الأشواق' لابن العربي فلا تبدو منظومة صوفية إلا بتفسير المؤلف وتأويله له في 'ذخائر الأعلام'، تقول أنيماري شيمل عن شعره: "يكاد أحدٌ يتذوق، دون أن يشعر، وصف ابن العربي للسفر عبر الصحراء ووصفه للنساء الحسنات في الهوادج ولمظاهر الحيوانات والطبيعة كما يتذوق الشعر

¹ الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 25

عن موضوع الحبّ الإباحي، ولكن تفسيره يجعل هذه الرؤية مستحيلاً¹. ولم يستحسن الدكتور شوقي ضيف شرح عبد الغني النابلسي لديوان ابن الفارض الصوفي الشهير الذي يوجد عليه طابع التصوف أكثر وضوحاً من غيره من الشعراء العرب، يقول شوقي ضيف: "ومن الحق أن شعر ابن الفارض شعر صوفي نظمه في الحبّ الإلهي، ولكن من الحق أيضاً أنه ينبغي ألا نذهب بعيداً في تأويله، وأن نقف به عندما أراد له صاحبه من تصوير لوجده الرباني وعشقه الإلهي وأحواله فيه ومقاماته وما ابتغاه من السمو بروحه إلى الاتصال بالكائن الأعلى، وقد اتخذ وسيلة إلى هذا التصوير الغزل بالذات الإلهية غزلاً ظامناً لا يروى صاحبه أبداً،.... ولكن ينبغي ألا نبالغ فيه مبالغة عبد الغني النابلسي وأمثاله ممن يتسع في تأويل أشعار ابن الفارض، صارفين ألفاظه عن دلالاتها التي وضعت لها إلى معانٍ لا تصحبها أي قرينة على استخدام الألفاظ فيها حتى لتكاد تنعدم الصلة بين معانيها الجديدة ودلالاتها اللغوية الصحيحة."² ودلالة الألفاظ في الشعر الصوفي العربي أقرب إلى الحبّ الإنساني المادي، لأن روح التصوف غير منتظمة وغير صريحة في الشعر العربي بالمقارنة مع الشعر الصوفي للغة الفارسية وربما خائفة أيضاً من ردود الفعل العنيفة المتوقعة، والتعبير الواضح عن روح التصوف في الشعر العربي ما زال يحتاج إلى التسامح الواسع حتى يظهر بقوة وانتظام، وناهيك مثال الملحمة الفارسية لجلال الدين الرومي التي تحتوي على جلّ محتويات رسالة التصوف بانتظام ووضوح، ولا يوجد في العربية ما يقابله، وإذا فتغلغت مؤثرات التصوف في الشعر الفارسي بأكمله وكانت نظرية وحدة الوجود من أهم هذه المؤثرات ولكنها لم تؤثر في الشعر العربي إلا متأخراً، يقول عاطف جودة: "كان مذهب وحدة الوجود من أهم المعاني الذي دار حولها هؤلاء الشعراء الفرس و لكن عبقريتهم استطاعت أن تقدم معاني وحدة الوجود والحب الإلهي بطريقة رمزية رائعة ... وأن ارتباط هؤلاء الشعراء بالمذهب في فارس وميلهم إلى التأويل الباطني الرمزي قد جعلاهم يعبرون بحرية أكثر، فبيئتهم سمحت لهم بحرية التعبير بينما كان ابن العربي - وغيره - مهتداً باتهامات خطيرة لو اتبع أسلوب التعبير الواضح في شرح أفكاره. أما هؤلاء الشعراء

¹ Mystical Poetry in Islam، ص 40

² فصول في الشعر ونقده، 210-209/3

مجلة الهند

الفرس فلم يكن هناك هذا التهديد وقد اتخذوا الشعر وسيلة تعبير كما ورثوا تراثاً يمضي على نفس الدرب في الأدب الفارسي»¹. وهذا الفارق الكبير بين الشعريين قاد نيكلسون أن يستنتج: "كان التصوف أكثر تلائماً للفرس من العرب، وأثره على الأدب العربي لا يقارن بأثره المرموق الذي أثبتته على الذهن الفارسي من القرن الحادي عشر الميلادي إلى اليوم، وباستثناء عدد ضئيل، جميع شعراء الفرس العظام (يمكننا أن نضيف شعراء تركيا) يتكلمون بلغة المجاز ويستخدمون الصور الرائعة وتقدم رباعيات الصوفي الوجودي أبي سعيد بن أبي الخير النموذج الأدبي الأول لها. وليس لدى العرب حتى شاعر صوفي واحد يستطيع الوقوف مع الشعراء الفرس وهو شرف الدين عمر بن الفارض (ولد 1181م).² لا شك أن 'اليوم' الذي ذكره نيكلسون قد مضى معه، وشاهدنا بعد ذلك جيلاً جديداً للشعراء المعاصرين العرب الذين عاشوا بعد الحرب العالمية الثانية واستخدموا تراث التصوف للتعبير عن تجربتهم الشعرية، فاستغل شعراء الحداثة كأدونيس، وصلاح عبد الصبور، وعبد الوهاب البياتي وغيرهم رموز الشعر الصوفي، ورأوا فيه ملجأً آمناً للهروب من ضوضاء عصرهم وفوضاه. ومع ذلك "فلم يمارس الشاعر العربي المعاصر التصوف العملي، أو كفلسفة، يتوحد فيها المتصوف مع المطلق، ويتصل به اتصالاً مباشراً، يتسم بالصفاء"³. فنتيجة لذلك لم ينجح هذا الاتجاه تماماً في سدّ الفجوة التي لم تزل توجد بين الشعر العربي والفارسي. فتأثير التصوف في الشعر الفارسي ما زال أكثر تعمقاً من الشعر العربي، فقد خلق التصوف جواً مختلفاً للشعر الفارسي طوال السنين والشعر الأردني تبعه في كل ذلك، (لأن اللغة الفارسية دعامة عظيمة للغة الأردية). فقد كان الشعر الفارسي مجرداً من الروح والعاطفة قبل شموله عنصر التصوف⁴، فمنحه التصوف الروح، والتصوف "مهما انتقده الناقدون بحق وبغير حق - معروف بإثارة الحب، وتغذيته وتنميته، ويصح أن يقال: إن أساسه الحب والعاطفة الذي رافق الشعر الإيراني والأدب الإيراني في أكثر مراحل حياته، وساهم في توسيعهما

¹ الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 31

² The History of Arabic Literature، ص 394

³ الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 9

⁴ أنظر للتفضيل: شعر العجم، 120/5

مجلة الهند

وتقويتهما¹ ولعب التصوف أيضاً دوراً في تطهير وتوسيع دلالات المفردات التي كانت تستعمل للهو والمجون، فألبس التصوف إحياءات جديدة للمفردات التي كانت تدل على هذا اللهو والمجون أمثال الساقى، وبائع الخمر، وكل ما يتعلق بالخمير مثلاً الكأس والحانة والزجاج والسكر والثلث والصحو والمطرب والطرب وغيرها – هذا ما لا يتيح للشعر العربي بشكل عام، ودخلت الفلسفة وعلم الأخلاق في الشعر عن طريق التصوف، وتوسع الشعر الفارسي أيضاً للمصطلحات الجديدة والتلميحات المتنوعة²، وتتراود فيه المفردات والتراكيب الفلسفية كوحدة، وكثرة، وكل، وجزء، وفناء، وبقاء، وعقل، وعشق، ومطلق، ومقيد، وبيخودي، وهستي، ونيسي، وغيب، وشاهد، ووجود، والمجازات كسراب، وخواب، وعدم، ودير، وبتخانه، وتماشه، وخیال، وجام، ومے، وموج، وبحر، وآيينه، وشعله، ونے وغيرها كما توسع للمفاهيم والرموز الصوفية التي لا يتناولها الشعر العربي عامة. وهذه المؤثرات المميزة في الشعر الفارسي والشعر العربي، حدّدت بنية شعر إقبال وبنية الترجمة العربية له، فشعر إقبال ينهل من المنهل الفارسي الثقافي واللغوي، بينما تحدّد البيئة العربية وثقافتها وقوف العرب على هذا الشعر في عملية الترجمة، ونقسّم شعر إقبال الذي يتسم بطابع التصوف إلى فرعين، الأول: يوجد فيه التأثير الصوفي، ولكن لم يشعر المترجمون بصعوبة في نقله إلى اللغة العربية، وهو أكثر عدداً وكمية، والثاني: الشعر الذي لم يتمكن للمترجمين أن يجاروا الشاعر فيها فاحتاجوا إلى الانحراف من الأصل لأجل الثقافية المختلفة، ونورد هنا الشعر من هذا القبيل فقط.

التصوف عند إقبال:

وقبل الخوض في الموضوع المباشر نتوقف قليلاً عند القضية المهمة التي ما زالت تناقش في الأوساط النقدية، وهي موقف إقبال من التصوف، يصنّفه بعض النقاد مؤيداً للتصوف بينما يعارضه البعض الآخر، ولا شك أن إقبال كان مؤيداً ومعارضاً معاً للتصوف، ويعبّر الدكتور حسن حنفي عن احتجاجه على موقف إقبال المشتبه حسب تعبيره بقوله: "وإقبال ضد التصوف ومع

¹ الطريق إلى المدينة، ص 99

² ينظر للتفصيل: شعر العجم، 137-134/5

مجلة الهند

التصوف، ضد تصوف الفناء ومع تصوف البقاء، ضد تصوف العبادات ومع تصوف المعاملات، ضد تصوف الآخرة ومع تصوف الدنيا. فإذا تخلى العرب والعجم عن الرسالة فيبقى الصوفية الأقدّر على حملها. كل مصطلحاته من الصوفية، المقامات والأحوال والعشق والمحبة والقلب والنفس والوجود والفناء والبقاء والرضا ... إلخ¹. والحقيقة أن شعر إقبال يستدعي الدراسة المستوعبة والعميقة لفهم المواقف المختلفة للشاعر. ومما لا شك فيه أنه استغل الشعر الصوفي الفارسي شكلاً ومضموناً لعرض أفكاره، إلا أنه انتقى منه بالدقة ما كان ملائماً لطبيعة رسالته، يقول الدكتور سيد عبد الله: "انتخب إقبال بعض الجوانب من فكر المتصوفين ومزجها مع أفكاره ليصنع دستوراً للعمل لأجل التوجيه الاجتماعي، لا ينكر أحد من فائدته التطبيقية"². وصرح إقبال نفسه في بعض رسائله أن جلّ أفكاره مقتبسة من أفكار الصوفية المسلمين فإقبال يستخدم رمز الخمر والمعراج والقطرة والبحر وغيرها على منوال الصوفية، وأثر الشعر الصوفي واضح فيه حتى في فلسفة الذات. حسب تعبير إقبال، 'الذات لا تكتمل حتى تتوسع إلى درجة تنتهي فيها الآفاق وتخرج من قيود الزمان والمكان' - لما طالت المشاجرات حول انتقاد إقبال لحافظ الشيرازي والتصوف بعد نشر "أسرار خودي"، كتب أكبر الإله آبادي الشاعر الأردني الشهير بأسلوبه الفكه في إحدى رسائله: حضرت إقبال هي خودي كو بڑھا کر "ہمہ منم" کہ دیں تو مطلب حاصل ہے³ (إن يوسع إقبال مفهوم الذات فيجعلها "أنا الكل" فالغرض موفي به) فربما أصاب الشاعر أكبر لأن مجمل ما دعا إليه إقبال بفلسفة الذات هو أن لا يُفني الإنسان قطرة ذاته في البحر المحيط، ولكن عليه أن يجذب البحر إليه ليوسع قطرته حتى يحولها إلى بحر متباين من المحيط اللامتناهي. وبالجملّة فلا يمكن لأحد أن ينكر أثر التصوف في شعر إقبال.

بعض ملامح التصوف في شعره ومواقف المترجمين:

فمن الميزات المتأثرة بالتصوف لشعر إقبال ميزة الحب الإلهي مع جرأة الشاعر في مخاطبه الله - سبحانه وتعالى - اعتماداً على عفوه الواسع على

¹ محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، ص 567

² مقامات إقبال (باللغة الأردوية)، ص 69

³ شرح أسرار خودي، ص 41-42

مجلة الهند

طريق الشعر الصوفي الفارسي، فقد عارض الفقهاء الصوفية قديماً لشطحاتهم ولوصف حبيبهم بالظلم أو بعدم الاهتمام بعاشقيه¹، وتستخف الصوفية بالظاهر على حساب الباطن خلافاً للفقهاء، وقد احتج إقبال نفسه على هذا التقسيم للشرع في "رموز بيخودي" ولكن هذا التقسيم له جذور عميقة في الأدب الصوفي، فضرب الصوفية أمثالاً لإصلاح النية مع الله دون تزيين الظاهر، وقصة الراعي مع موسى-عليه السلام- الذي أورده الرومي في ملحمة واحدة من دروسهم لتعمير الباطن دون مبالاة بالظاهر، وتستهزئ الصوفية بالزهد والتقوى والوعظ والجنة وغيرها كردّ الفعل لتشدّد الفقهاء عليهم، وأمثالها موجودة في الشعر الفارسي والأردي، يقول حسين مجيب المصري عن هذه الظاهرة: "أصبح ذلك ظاهرة تقليدية مرعية لدى شعراء الفارسية من المتصوفة لا ينفكون عنها، فكان الشاعر منهم يسمّي نفسه في شعره (رند) بمعنى ماجن أو خمير، ويسمّي سواه (زاهد)، ولا شك أن هذه نهاية السخرية والتهكم، لأن من بين شعراء التصوف الفرس من أطلقوا على أنفسهم أسماء مستعارة ترمز إلى أنهم قوم كافرون، وهم مع هذا من كفرهم في رأي غيرهم، خير منهم وهم عند الله بأرفع منزلة، وكأنما كان مقصدهم من مثل هذا إبانتهن عن ثباتهم على مذهبهم دون أن يبالوا برأي سواهم فيهم من غير المتصوفة"². أما تخاطب إقبال مع الله تعالى وجرأته رغم إيمانه الراسخ به وحبّه المخلص له فإنها أيضاً ترجع إلى أساس صوفي، وقد أُلحق بعض النقاد هذه الظاهرة في شعره إلى موضوع شعره (فلسفة إثبات الذات) الذي يتطلب هذا المنهج في الأسلوب³، ولا يُرفض ذلك منهم إلا أن هذه الجرأة، بالإضافة إلى كل ذلك، رمز خاصّ للحب عند أصحابها، وحسب تعبير إقبال:

رمزين ہیں محبت کی گستاخی وبے باکی

¹ ينظر للتفصيل: أخبار الأخيار للشيخ عبد الحق الدهلوي في تراجم الصوفية الجشتية لأمثلة هذه المشاجرات

² قصائد مختارة ودراسات، ص 108

³ هذا رأي عبد السلام الندوي ورأي خليفة عبد الحكيم في هذا الأسلوب من أثر نيتشه، أنظر 'إقبال كامل'، ص 392، وراجع أيضاً "إقبال ايك صوفی شاعر"، ص 294 وشبه هذا المؤلف بلطمات النساء حسب قوله

مجلة الهند

ہر شوق نہیں گستاخ، ہر جذب نہیں بے باک¹

الترجمة: إن الجسارة والجرأة كنايةان عن الحب، فليس كل أنواع الشوق جسارة كما ليس كل أنواع الحب جرأة. وقد إقبال مرشده جلال الدين الرومي في بعض تراكيبه لأبياته الشتى مثل قوله:

بزیر کنگرہ کبریاں مردانند فرشته صید و پیمبر شکار و یزدان گیر
ترجمة: يوجد تحت عرش كبريائه رجالاً بإمكانهم أن يصيدوا الملائكة
ويقنصوا الرسل ويحيطوا بالله.
ويقول إقبال:

در دشت جنون من جبریل زبوں صیدے یزدان بکمند آور اے ہمت مردانہ
ترجمة: ليس جبريل إلا صيد وضع في غابة جنوني، وأيتها الهممة السامية!
اجعلي الإله فريسة لك. وقال أيضاً:

گفت رومی اے سخن را جاں نگار تو ملک صید استی و یزدان شکار
ترجمة: قال الرومي: يا مزين روح الشعر، أنت قناص الملائكة وصياد الإله.
ترجم هذا البيت بعض المترجمين كما يلي:

فأجاب الشيخ: يا رب العلاء أنت صياد ولكن في السماء
هذا، ولم ينكر النقاد الكبار للإقباليات في شبه القارة الهندية أمثال الأستاذ
يوسف حسين خان هذا الأسلوب للشاعر وقد قدم يوسف حسين لنا هذا الأسلوب
بشيء من استحسان في كتابه الجامع عن إقبال فيقول:

"وخاطب إقبال الذات الإلهية في بعض المواضع خطاباً يظهر من خلاله أنه
وجه كلام الشوق إليه (جلّ وعلا) لا إلى الغير، ويظهر أيضاً من هذه الجرأة
بدون أيّ اصطناع مقامه الكبير، حيث يقول الشاعر:

قصـــــور وار غريب الديار هوں لیکن

¹ کلیات إقبال (المجموعة الشعرية الأردنية)، ص 473

مجله الهند

ترا خرابیہ فرشتے نہ کرسکے آباد

مري جفا طلبي كي دعائیں دیتا ہے

وہ تیرا دشت سادہ وجہاً ان بے بنیاد

مقام شوق تیرے قدسیوں کے بس کا نہیں

انہی کا کام ہیں جن کے حوصلے ہیں زیاد

ترجمة: ولو أني مخطئ وغريب، ولكن لم تستطع الملائكة أن يعمرُوا هذ
الخراب (الدنيا)،

وتدعو تلك الصحراء القاحلة أي عالمك بدون الأسس لجهدي وكفاحي (لأنني
عمّرتُه)،

ولن يبلغ غاية الشوق أصحابك القدسيون (الملائكة)، فينالها من يمتلك الهمم
العالية (الإنسان).

يقول الشاعر بعد ذلك:

تو نے یہ کیا غضب کیا مجھ کو بھی فاش کر دیا

میں ہی تو ایک راز تھا سینہ کائنات میں¹

ترجمة: جئت ظلماً ونكراً بأن أبديتني أيضاً فقد كنت، على الأقل، سرّاً في ذات
صدر الكون.

ويروي هذا الناقد أمثلة لهذا الأسلوب واحداً تلو الآخر، ويناشدنا أن نلاحظ
ابتكار الشاعر فيه يقول الناقد للقراء:

"لاحظوا جمال الفكر وحسن التعبير عند الشاعر الجريء:

رمزیں ہیں محبت کی گستاخی و بیباکی

ہر شوخ نہیں گستاخ ہر رمز نہیں بیباک

فارغ تو نہ بیٹھے گا محشر میں جنوں میرا

¹ روحِ اقبال، ص 121

مجلة الهند

يا اپنا گریبان چاک یا دامن یزداں چاک¹

" انتهى كلام يوسف حسين² .

ويتناول بالنقد الدكتور أسلوب أحمد الأنصاري غزلية من الديوان "زبور عجم" مطلعها:

ما از خدا گم شده ایم او بجستجوست چو ما نیاز مند وگرفتار آرزو

ترجمة: نحن نغيب عن الله وهو يتفقدا، فهو باحث مثلنا، وأسير بالأمل.

ويعلق الناقد المذكور على هذه الغزلية قائلاً: "الجرأة في التخاطب والطاقة والتأنق التي توجد فيها بالإضافة إلى إيقاد الفكر وإبراز الخيال كلها لا يتيسر إلا لشاعر ذي نظر ثاقب ورتبة عالية كإقبال، وعلى الذين يعترضون على الغزلية اعتراضاً بدون جدوى عليهم أن ينظروا في نظرية الغزلية ويحاولوا فهمها"³. حتى أن الشيخ أبا الحسن الندوي لما عبّر عن عدم موافقته لبعض آراء الشاعر الفلسفية في محاضراته التي ألقاها في 'مدراس' لم يشر إلى هذه الظاهرة في كتابه 'روائع إقبال'⁴، وقد رأى البعض أن إقبالاً يرجح أن يستعمل كلمة 'يزدان' مكان كلمة 'الله' إذا أراد شيئاً من هذا النوع، وهناك من الدارسين القليلي الصيت أمثال ابن أحمد النقوي وكليم الدين أحمد من اعترض على هذا الأسلوب⁵، ولكن لم ينكره النقاد الكبار للغة الأردية والفارسية بوجه عام، والشعر العربي ربما لا يقبل هذه الظاهرة طبعاً، فقد أنكر العرب للمتنبّي وغيره من الشعراء خروجهم عن المألوف في هذا الشأن. فالمترجمون وقعوا في المشكلة خلال مواجهتهم لهذه الظاهرة في شعر إقبال، فانحرف أكثرهم عنه، فعلى سبيل المثال غضّ طرفه عنها الدكتور حسين مجيب حيث نقل مضمون البيت دون أي اعتراض عليها:

¹ ترجمة: الجرأة والجسارة رمزان للحب، وليس كل أنواع الحب والشوق بالجريء أو الجسور، سوف لا يقعد جنوني عاطلاً يوم الحشر، فيمزق إما جيبه أو ذيل قباء الله.

² روح إقبال، ص 122، وينظر أيضاً: ص 50 حيث يقول: إن هذه الجرأة تتولد إذا يفهم ويعرف السكر إشارات الساقى وهذه اللهجة تمنح لمن تنكشف أسرار العشق ورموزها على قلبه.

³ إقبال كي منتخب نظمیں اور غزلیں، ص 255

⁴ روائع إقبال، ص 20

⁵ ينظر للتفصيل: فكر إقبال، ص 53-54

مجلة الهند

گرچه ما مرغان بے بال و پریم از خدا در علم مرگ افزون تریم¹
ترجمة: ولو أننا طيور بلا جناح وريش، ولكننا أعلم من الله بالموت.
ترجمته:

نحن طير بجناح لا تطير علمنا بالموت مقطوع النظير²
وفحوى البيت أن الله عين الحياة وهو حي لا يموت بل لا تأخذه سنة ولا نوم، وذاته أعلى من الموت والعدم وقيود الزمان والمكان، وفي جانب آخر لا بد لكل إنسان أن يتذوق طعم الموت، فالشاعر يستخرج من هذه الحقيقة نكتة شعرية طريفة، وهي أن الإنسان أعلم من الله بالموت لأنه يواجهه ويمارس حلوه ومرّه، ولا شك أن المترجم اختار طريقة سليمة للخروج من هذا المأزق بقوله: "علمنا بالموت مقطوع النظير"، ولكن ضاعت فيه تلك اللدغة التي بواسطتها تنفذ المعنى في النفوس، واعترف في هامش البيت التالي بأنه صرف المعنى قائلاً: "وقد صرفنا المعنى عن أصله بعض الشيء في ترجمة هذا البيت خشية فهم المبالغة فيه على ظاهرها"³. وكذلك عالج المشكلة في الأبيات التالية:

اگر این نامه را جبریل خواند چو گرد آن نور ناب از خود فشاند⁴
ترجمة: لو قرأ جبريل هذا الكتاب، لنفض عن نفسه ذلك النور الناصع الذي يرتديه كما ينفض الغبار.
ترجمته:

وجبریل کتابی این راہ انار لنا بلمح من سناہ
وعلق المترجم على هذا البيت قائلاً: "تصرفنا بعض الشيء في ترجمة هذا البيت كراهية فهم المبالغة فيه على الظاهر"⁵:

نگہ از جلوہ او ناشکیب است تجلی هائے او یزدان فریب است

¹ کلیات إقبال (المجموعة الشعرية الفارسية)، ص 626

² دیوان محمد إقبال، 165/2

³ المصدر نفسه، 375/1

⁴ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 539

⁵ دیوان محمد إقبال، 377/1

مجلة الهند

ترجمة: العين لا تصبر عن تجليه، وتجلياته تخادع الله بفتنتها وسحرها.
ترجمته:

إليه العين في شوق شديد تجل منه إعجاب الحميد
ويصرف المعنى دون التصريح في الهامش في مثل هذه الأبيات:
چناس با بندگی در ساختم من نگیرم گر مرا بخشد خدای¹
ترجمة: ألفت العبودية واتفقت معها، حتى لو أُنح الآن الربوبية بدلاً منها لا
أخذها.
ترجمته:

ألفت صفات عبد منذ دهر فليس لكل هذا من لزوم²
وأما الشيخ صاوي شعلان فكانت لديه فرص كثيرة لتجنب هذه المواضيع، لأنه
لم يتقيد بحرفية الأصل في عمله، وإنه تمتع بحرية كبيرة، وأضفى على
ترجمته خصائص جمالية كثيرة بالمقارنة للمترجمين الآخرين، وتحليل قصيدة
الشكوى على هذا المقياس الذي نحن بصدد البحث عنه يظهر أن متابعة وتيرة
الأصل ونبرته كانت مستحيلة لديه أو غير مرغوب فيها لأسباب ثقافية، ولا
ندعي بذلك أنه كان عليه أن يراعي حرفية الأصل في الترجمة، ونورد ههنا
بعض الأبيات من القصيدة الأردنية ومعانيها ثم نتبعها ببعض الأبيات من
ترجمة الشيخ صاوي شعلان بالإضافة إلى ترجمة الدكتور حازم محفوظ
النثرية كي يتضح لنا هذا الفارق:

جرات آموز مری تاب سخن بے مجه کو

شکوه الله سے خاکم بدهن بے مجه کو³

ترجمة: الرغبة الشديدة في التعبير عن الشكوى التي تختلج في ضميري
علّمتني الجرأة، فأصرح الآن - وفي فمي التراب- أن لي الشكوى إلى الله.

¹ كليات إقبال (الفارسية)، ص 895

² ديوان محمد إقبال، 429/1

³ كليات إقبال (الأردنية)، ص 231

مجلۃ الہند

ترجمۃ صاوی شعلان:

أشکو، و فمي التراب، وإنما أشكو مصاب الدين للديان¹
ترجمۃ حازم محفوظ: إن استطاعة النظم تجعلني جريئاً، أنا أشكو إلى الله،
والتراب في فمي².

اے خدا شکوہ ارباب وفا بھی سن لے

خوگر حمد سے تھوڑا سا گلہ بھی سن لے
ترجمۃ: اللهم! استمع إلى شكوى أهل الوفاء، وأذن قليلاً لشكوى من طالما تعود
الحمد لك.

ترجمۃ شعلان:

يشكو لك اللهم قلب لم يعيش إلا لحمد علاك في الأكوان
ترجمۃ محفوظ: يا رب استمع إلى شكوى أهل الوفاء، اسمع من الذي عادته أن
يحمد (الله)، قليلاً من الشكوى.

رحمتیں ہیں تری اغیار کے کاشانوں پر

برق گرتی ہیں تو بیچارے مسلمانوں پر
ترجمۃ: رحمتك وسعت الأجانب، وأما المسلمون فلا تنزل عليهم سوى
الصواعق.

ترجمۃ شعلان:

فإذا السحاب جرى سقاهاهم غيثه واختصنا بصواعق التدمير
ترجمۃ محفوظ: غير أن رحمتك (تعاليت) نعم الجميع، والمسلمون يمتحنون
أكثر من غيرهم.

پھر بھی ہم سے یہ گلہ ہے کہ وفادار نہیں

¹ دیوان محمد اقبال، 93/1

² الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد اقبال، ص 167-175

مجلة الهند

هم وفادار نہیں تو بھی تو دلدار نہیں¹

ترجمة: وفي جانب آخر تشكو إلينا أننا غير أوفياء، فإن حقّ هذا فلست أنت بمن يشكر.

ترجمة شعلان:

إن لم يكن هذا وفاء صادقاً فالخلق في الدنيا بغير شعور²

ترجمة محفوظ: ومع كل هذا، فإن الإنسان غير وفي، لو كنا غير أوفياء، فإنك رحيم (بنا).

خنده زن کفر ہیں احساس تجھے ہیں کہ نہیں

اپنی توحید کا کچھ پاس تجھے ہیں کہ نہیں

ترجمة: الكفر يضحك منا، ألا تحسّ هذا؟ ألا تهتمّ قليلاً بتوحيدك؟

لا يوجد معادل عند شعلان.

ترجمة محفوظ: إن الكفر يضحك، وأنت (يا الله) تعلم هذا، وأنت (يا رب) في مقدورك الحفاظ على توحيدك.

قهر تو یہ ہیں کہ کافر کو ملیں حور وقصور

اور بے چارے مسلمان کو فقط وعدہ حور

ترجمة: من الظلم الصريح أن يعطى الكافر الحور والقصور، وأما المسلم المسكين فلا يعطى إلا الوعود الفارغة بحور الجنة.

ترجمة شعلان:

أنا ما حسدت الكافرين، وقد غدوا

في أنعم ومواكب وقصور

بل محنتي ألا أرى في أمّتي

عملاً تقدمه صداق الحور

¹ كليات إقبال (الأردية)، ص 235

² ديوان محمد إقبال، 96/1

مجلة الهند

ترجمة محفوظ: من الظلم أن يجد الكافر (في الدنيا) القصور والهور، أما المسلمون المساكين، فليس لهم إلا الوعد بالهور (العين)
وزاد شعلان البيت التالي من عنده فحاول تخفيف جو التوتر السائد في القصيدة:

عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا عن ذنبه في الدهر يوم عقاب

إذاً نلاحظ في كل الأمثلة السابقة أن المترجمين الشيخ صاوي شعلان والدكتور حازم محفوظ لم يستطيعا أن يواكبا الشاعر في أسلوب تخاطبه مع الله تعالى اللهم إلا ترجمة محفوظ للبيت الأخير المذكور أعلاه، وكلاهما عدلاً عنه وخففا الحدة والصراحة الموجودتين في هذا الأسلوب، وكذا يبدو أن قضية شكوى الإنسان أمام الله ضعف تقديمها بينما كانت قوية في القصيدة الأصلية.

أما المترجم البارز الآخر عبد الوهاب عزام فيلاحظ في ترجمته نمط خاص في حذف الأبيات، وهناك عدد كبير من الأبيات المحذوفة، فمثلاً إنه حذف الأبيات في "أسرار خودي" عن وصف يبدو مبالغاً في شأن خليفة الله منها مثلاً:

نائب حق همجو جان عالم است هستی او ظل اسم اعظم است¹

ترجمة: يعني خليفة الله مثل روح العالم، ووجوده كظل للاسم الأعظم.

وكذلك حذف بعض الرباعيات والغزليات على نمط خاص ربما يدل على إعراضه عن هذه الظاهرة – بحيث وجد فيها بعض النقاد التطرف من هذا النوع، وخاصة الرباعيات رقم: 11 و 12 و 16 و 18 و 34 و 42 و 47 و 81 و 118 و 130 و 134 وعلى سبيل المثال، نتناول الرباعية رقم 11:

نواے عشق را ساز است آدم کشاید راز و خود راز است آدم

جهاں او آفرید، این خوب تر ساخت مگر با ایزد انباز است آدم²

ترجمة: الإنسان موسيقى لنشيد العشق، هو يكشف عن السرّ بينما ذاته سرّ محض، ولو خلق الله العالم ولكن الإنسان قام بتحسينه وتزيينه، وعلى هذا فالإنسان يشترك مع الله في شئون الخلق.

¹ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 44

² المصدر نفسه، ص 198

مجلة الهند

الفكرة غير المألوفة في هذه الرباعية هي: الإنسان يشترك مع الله في تزيين الكون، وأغلب الظن أن عزاماً ترك الرباعية لهذه الفكرة، وطبيعة هذه الرباعيات كلها من هذا النوع، وقد ترك أيضاً الأبيات الأخرى في مدح علي كرم الله وجهه سيأتي ذكر ذلك فيما بعد، ورغم كل ذلك، يمتاز الأستاذ عزام عن جميع المترجمين بنقل الأبيات المحتوية على الأفكار الصوفية من هذا النوع بشكل كبير، ومن الأبيات التي ترجمها بشيء من الانحراف والتي توجد فيه الظاهرة التي تناقشها هذه المقالة، ترجمة البيت التالي للأستاذ عزام:

مزي اندر جهانے کور ذوقے کہ یزدان دارد وشیطان ندارد¹

ترجمة: لا تعش في الدنيا عديمة الذوق التي يوجد فيها الله ولا يوجد فيها الشيطان.

فلا تحفل بكون فيه نقص به المولى وليس به الغرور²

وما قلنا عن جرأة الشاعر بعض الأحيان عند الله – سبحانه وتعالى – نستطيع أن نقول معاكساً لذلك في وقوفه عند ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث إنه يمسك بالأدب والتواضع والإجلال بشكل أكبر، كأنه كان في ذهنه القول الشائع عند بعض الصوفية: *با خدا دیوانه باش وب محمد ہوشیار* . فللشاعر منهجه الخاص في مدح النبي – عليه الصلاة والسلام، فلما يوجد مثاله في الشعراء الآخرين وأشار إلى ذلك عبد السلام الندوي في كتابه عن إقبال، بأنه جعل شعر المدح شعراً قومياً حيث عرض حال كل المصائب التي يعانيتها المسلمون أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم³، وكان حب إقبال للنبي – صلى الله عليه وسلم – فاقد النظير من بين الشعراء المعاصرين، فقد قال يوسف سليم الجشتي إن إقبالاً كان يحب النبي أكثر من الله وإقبال نفسه قال:

معنى حرفم کنی تحقیق اگر بنگری با دیدہ صديق اگر

قوت وقلب و جگر گردد نبی از خدا محبوب تر گردد نبی⁴

¹ المصدر نفسه، ص 203

² ديوان محمد إقبال، 299/1

³ ينظر للتفصيل: إقبال كامل، ص 399

⁴ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 101

مجلة الهند

ترجمة: إذا تناولت معنى كلامي بالبحث والتحقيق فلا تنظر فيه إلا بعين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لتكون قوتك قوته صلى الله عليه وسلم وقلبك قلبه وروحك روحه، وهكذا فيصبح النبي أحب إليك من الله تعالى.

فأوضح الجشتي في شرح الشطر الأخير (سيكون حبك للنبي أكثر من حبك لله) بقول إقبال: "أمنت بالله تعالى على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم - وإلا فالعقل الإنساني لا يصل إلى الله ولا يعرفه، ومبلغ العقل ومنتهاه ليس إلا الشك"¹. ومن المفارقة العجيبة أن سمير عبد الحميد كره أن يترجم هذا الشطر الأخير في صورته الأصلية فترجمته: إن أردت أن تحقق في معنى كلامي فانظر بعين الصديق حتى تفهم، فهو لنا قوة القلب والروح وهو أحب إلى القلب من جميع الخلق².

وذكر في ملاحظاته أن هذه مبالغة من الشاعر أخذها عليه البعض وقد ورد في الأصل 'الرب'³. يقول الدكتور عبد السلام الندوي:

"تغلب حب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب إقبال على حب الله، وكانت أمنيته الأخيرة أن يؤدي فريضة الحج، لكن الدافع الحقيقي وراء هذه الأمنية كان إرادته لزيارة ديار الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

دراں دریا کہ او را ساحلے نیست دلیل عاشقان غیر از دلے نیست

تو فرمودی رہ بطحاً گرفتیم وگرنہ جز تو ما را منزلے نیست"⁴

ترجمة: وفي ذلك البحر الذي لا شاطئ له (البحر كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم) يهدي العشاق قلوبهم فقط، ولقد زرنا مكة على أنك أمرتنا به وإلا فلا غاية لنا سواك.

وطبعاً فقد خرج شعر إقبال عن حد المألوف في هذا الشأن، ويشكو الدكتور حسن حنفي والدكتور عادل التل هذا من الشاعر¹، وكان إقبال يذهب مذهب

¹ شرح رموز بيخودي، ص 140

² ديوان الأسرار والرموز، ص 202

³ المصدر نفسه، ص 323

⁴ إقبال كامل، ص 394

مجلة الهند

الصوفية عن الحقيقة المحمدية، وكان متفانياً في حبّ الرسول - صلى الله عليه وسلم. و"قد ألهمه هذا الحب العميق معاني شعرية عجيبة"² وكان من المستحيل أن يسايره أحدٌ من المترجمين في التعبير عن هذا الحب، وهو لا يقبل أن يبدّل كلمة في بعض مدائحه للنبي - صلى الله عليه وسلم. وخير مثال لذلك كلمة 'موجة' (يعني موجة) في واحد من أبياته، فقد اقترح بعض أصدقائه أن يبدّل هذه الكلمة، وكذلك اقترح أستاذه مير حسن أن يبدّلها بكلمة 'مشتى' (يعني قبضة) إلا أنه لم يقبل، والسبب وراء ذلك أنه كان يصف بيت النبي - صلى الله عليه وسلم وحسب عقيدته تليق به كلمة 'موج' أكثر من كلمة 'مشتى' لأن الموج فيه الشفافية³. والبيت كما يلي:

طور موجے از غبار خانه اش كعبه را بيت الحرم كاشانه اش⁴

ترجمة: الطور موجة من غبار منزله وبيته للكعبة بيت الحرم.

لا يليق بنا أن نرجو من عبد الوهاب عزام أن يكون حساساً وحذراً إلى هذا الحد، ولا يجوز لنا أن نؤاخذه لإضافة كلمة 'نقع' إلى النبي - صلى الله عليه وسلم في الترجمة لأن التزام ذلك مستحيل لأيّ مترجم:

موجة من نقعه الطور الأشم داره، للكعبة العظمى حرم⁵

فالمترجمون لم يحسّوا خطورة هذا الموضوع عند الشاعر واستهانوا في نقل الأبيات إلى حد كبير. وهناك بيت آخر في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم يتناوله يوسف حسين خان في كتابه بهذه الكلمات:

"ذهب (إقبال) للحج في عالم الخيال، ولما أراد أن يذهب من مكة إلى المدينة، خاطب الله تعالى بجرأة العشاق، وقال: 'إنني أذهب إلى ديار حبيبي، وامكث مع عبادك الخواص بمكة'. إذاً وهنا يظهر إخلاص إقبال وحنينه ووجده دون

¹ أنظر: محمد إقبال: فيلسوف الذاتية، ص 567-68، وأيضاً: مقالة بعنوان 'النزعة المادية عند الشاعر محمد إقبال' على الموقع:

www.elthwed.com/vb/showthread.php%3F2688-%25C7%25E1%25E

² روائع إقبال، ص 41

³ إقبال كا فن، وينظر للتفصيل في المقالة: ترميمات إقبال كا تنقيدي جائزة، ص 15

⁴ كليات إقبال (الفارسية)، ص 19

⁵ ديوان محمد إقبال، 137/1

مجله الهند

أي ريب، ونشعر من خلال هذا البيت كأن حبّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم
تعدّى حبّ الله، لا توجد نماذج كمثّل هذا في الشعر عن المديح النبوي:

تو باش اینجا و با خاصان بیامیز

که من دارم هوایی کوچه دوست¹

ترجمة: امکث ههنا (بمكة المكرمة) واحتك بالخواص الأثرياء، فإنني أهوى
حي الحبيب (المدينة المنورة).

ربما لم يفهم الدكتور حسين مجيب هذه الرباعية إذ ترجمها:

بقيت هنا و لي روح تسير إلى البطحاء أشواقى تطير

خواص القوم عائشهم، تلبث بشوقي دار من أهوى أزور²

فذكر عن الأشواق أنها تطير إلى البطحاء يعني مكة، بينما يقول الشاعر ما
معناه أن أشواقه تطير إلى إحدى مدن (يعني المدينة المنورة) تأتي البطحاء
(يعني مكة) في الطريق إليها. إليكم نصّ الرباعية:

بدن وامانده و جانم در تگ و پوست

سوئے شهرے کہ بطحاء در ره اوست

تو باش اینجا و با خاصان بیامیز

که من دارم هوایی کوچه دوست³

وكذلك الرباعية التالية التي سبق ذكرها ترجمها الدكتور مجيب بعدم الدقة:

دران دریا که او را ساحلے نیست

دلیل عاشقان غیر از دلے نیست

¹ روح إقبال، ص 212

² دیوان محمد إقبال، 431/2

³ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 901

مجلة الهند

تو فرمودي ره بطحاً گرتيم

وگر نه جز تو ما را منزله نيست

ترجمتها كما يلي:

ببحر شطه لم أدر بعده دليل العاشقين القلب وحده

إلى البطحاء تأمرنا بسير وإلا كنت ما وقفت عنده¹

ولم يفهم صاوي شعلان أيضاً خطورة الموضوع حينما ترجم بعض الأبيات في المدح يبدو كأنها ترجمة عشوائية:

عصر ما ما را زما بيگانه کرد از جمال مصطفی بیگانه کرد

سوز او تا از میان سینه رفت جوهر آئینه از آئینه رفت²

ترجمة: إن عصرنا هذا أبعدنا عن أنفسنا وذلك لأنه صرفنا عن جمال المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى ذهب لوعة حبه عن صدورنا وذهب جوهر المرأة عن المرأة، والمراد بالمرأة القلب.

ترجمة شعلان:

أو تدري أننا من عصـرنا

غرباء فيـه عن أنفسنا

كل حي معـرض عن ذاته

فقد الجوهـر من مرآته³

وكان لصاوي شعلان قناعاته في هذا الموضوع، فترجمته للبيت التالي ترجمة وتأويل في نفس الوقت لفرض رؤيته الخاصة على الترجمة، وتابع هذا المنهج ببراعة في القصيدة كلها:

اے تو ما بے چارگان را ساز و برگ

¹ دیوان محمد إقبال، 447/2

² کلیات إقبال (الفارسية)، ص 820

³ دیوان محمد إقبال، 362/2

مجلة الهند

وارهان این قوم را از ترس مرگ¹

ترجمة: يا من هو متاع للمساكين مثلنا، فخلص هذا القوم من خوف الموت.

يا رأس مال البائسين ويا منار الحائرين

ادع الإله يهب لأمتك: الشجاعة واليقين²

ثم هناك أمور أخرى لها علاقة مع التصوف، ومنها مدح آل البيت ومدح بعض الصوفية، ونجد المترجمين يلاحظون قناعاتهم في نقلها إلى العربية، فقد حذف عزام الأبيات التي استخدم فيها الشاعر الآثار الضعيفة عن مدح علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- والأبيات موجودة في "أسرار خودي" بعنوان "في شرح أسرار أسماء علي المرتضى" وحذف من "رموز بيخودي" الأبيات التي تحتوي على مدح الحسين -رضي الله عنه- وهي تحت عنوان "في معنى الحرية الإسلامية وسرّ حدث كربلاء" ولا نعرف بالتأكيد لماذا حذف هذه المدائح، وما يهمننا ههنا هو أن هذه المدائح رائجة في التصوف الفارسي باسم "المناقب"، والشعر الفارسي والأردي ينطويان أيضاً على جنسين خاصين وهما "المرثية" و"القصيدة"، فلذلك تلائم هذه المدائح مع شعر اللغتين، وربما حذف المترجم لأن الذوق العربي لا يوافقها، أو كما علّل الدكتور حسن حنفي عن هذا الحذف: "قد يكون السبب في حذف بعض الأبيات سبباً يتعلق بالمضمون العقائدي أو الأخلاقي أو السياسي، فالشعر ينتقل من بيئة إلى بيئة، من بيئة شيعية إلى بيئة سنية أو من منظومة قيم حرة إلى منظومة قيم محافظة أو من نظام سياسي حرّ إلى نظام سياسي تسلطي.... قد لا ينفعل الشاعر المترجم بقصيدة للشاعر المؤلف بالرغم من انفعال مترجم آخر للشعر إلى النثر أو حتى القارئ مثل قصيدة 'في معنى الحرية الإسلامية' وسرّ حادثة 'كربلاء'³. يقول إقبال في هذه القصيدة في مدح الحسين رضي الله عنه:

آن شنیدستی که هنگام نبرد	عشق با عقل هوس پرور چه کرد
آن امام عاشقان پور بتول	سرو آزاده ز بستان رسول

¹ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 844

² دیوان محمد إقبال، 401/2

³ محمد إقبال فیلسوف الذاتية، ص 13 و 14

مجلة الهند

الله الله باي بسم الله پدر
معنى ذبح عظیم آمد پسر
بهر آن شهزاده خیر الملل
دوش ختم المرسلین نعم الجمل
درمیان امت آن کیوان جناب
همچو حرف قل هو الله در کتاب
موسی و فرعون و شبیر و یزید
این دو قوت از حیات آمد بدید.¹

ترجمة: هل سمعت عما فعله العشق مع العقل الذي يربي هوساً وحرصاً، ذلك (العشق) هو إمام العشاق وابن فاطمة البتول والذي هو صنوبر عالٍ طليق في رياض الرسول، ويا للعجب أن أباه هو باء 'بسم الله' والولد نفسه تفسير لقول 'ذبح عظيم'، إن كتفي خاتم النبيين نعم الجمل لأمير خير الأمم (حسب تعبير النبي صلى الله عليه وسلم)، وذلك صاحب السموّ تطاول السماء ومكانته في الأمة بمثابة مكانة 'سورة الإخلاص' في كتاب الله، موسى وفرعون، والحسين ويزيد قوتان متضادتان نابتان من الحياة نفسها.

وكانت هناك إمكانية أن ستكون هذه الأفكار سبباً للخلاف في المجتمع إذا كانت الحرية معدومة والتسامح مفقوداً، ومع ذلك، إنها لو تبدو لبعض الناس مبالغة فمبالغتها لا تنقض الشعر بل تصير أكثر ملائمة له لاعتماد الشعر على المبالغة كأداة البلاغة. والأمر الآخر عند إقبال أن بعض مصطلحاته الخاصة لا تدل على الطقوس الشرعية، فمثلاً أنه لا يعني بأنات الليل وآداب الصبح بالضرورة صلاة الصبح، وهو يستخدم هذه الكلمات على طراز ما هو أقرب إلى النمط الصوفي من النمط الفقهي، توجد عند كبار الصوفية، مثلاً، يقول حافظ الشيرازي:

مرا ازین ظلمات که راهنمائی کرد دعائی نیم شبی بود وگریه سحری
ترجمة: الشيء الذي هداني في هذه الظلمات كان دعائي نصف الليل وبكائي وقت الفجر.

إذاً ترجمة هذا البيت لعبد المعين الملوحي لا تبرز هذا الفارق:

زمستانی هواءوں میں گرچہ تھی شمشیر کی تیزی

نہ چھوٹھے مجھ سے لندن میں بھی آداب سحر خیزی¹

¹ کلیات إقبال (الفارسية)، ص 110

مجلة الهند

ترجمة: بالرغم من أن هواء الشتاء البارد كانت حادة مثل السيف، لم تفتني في لندن آداب القيام في السحر للأشغال العبودية.

ترجمة عبد المعين الملوحي: كان البرد قارساً كالسيف ورغم ذلك لم أَدع صلاة الفجر في لندن.²

ونظراً إلى أن عبد المعين الملوحي نقل الديوان من ترجمته الفرنسية، ثم نظمه زهير ظاظا وأي محاولة لإبراز الظاهرة التي نحن بصدد إثباتها لا مبرر لها، وفي الحقيقة أن بعض المفردات التي استخدمها الشاعر للدلالات الكبيرة والإيحاءات الواسعة، فتضيق إحياءاتها ودلالاتها في ترجمتهما.

الخاتمة:

بإمكاننا أن نستنتج من هذا البحث الموجز المتواضع أن المترجمين العرب لم يسايروا الشاعر في استخدام بعض الأساليب المتأثرة بالتصوف، فمالوا إلى التصرف والتأويل في الترجمة، ففي حين فضّل عبد الوهاب عزام حذف مثل هذه الأبيات، رجّح الشيخ صاوي شعلان والدكتور حسين مجيب والدكتور حازم محفوظ وسمير عبد الحميد أن يؤولوا معاني الأبيات. ولم يساير أحدٌ منهم إقبال في هذه الظاهرة إلا قليلاً نادراً.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م
2. ابن أحمد، النقوي: فكر إقبال، إداره تحقيقات ونشریات اسلامي، جامعة عربية مؤنث بانجان، أوترابرايش، الهند، الطبعة الأولى، 2007م
3. أبو الحسن علي، الندوي: روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، لکناؤ، الهند، الطبعة الخامسة، 2004م

¹ کلیات إقبال (الأردنية)، ص 471

² مختارات من شعر الدكتور الفيلسوف محمد إقبال، ص 7

مجلة الهند

4. أبو الحسن علي، الندوي: روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، الطبعة الخامسة، 1991م
5. أبو الحسن، الندوي: الطريق إلى المدينة، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، الطبعة الخامسة، 1987م
6. أحمد عيسى الخطاب: مختارات من شعر الدكتور الفيلسوف محمد إقبال، دار الإرشاد للنشر، حمص، 2008م
7. أسلوب أحمد، الأنصاري: إقبال كي منتخب نظمیں اور غزلین (المختار من منظومات إقبال وغزلياته- بالأردنية)، أكاديمية غالب، دلهي الجديدة، الطبعة الأولى، 1994م
8. انيماري كيميل: As Through a Veil: Mystical Poetry in Islam، مطبعة جامعة كولومبيا، نيو يورك، 1982م
9. حازم محفوظ (المترجم): الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م
10. حسن حنفي، الدكتور: محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م
11. خالد عباس، أسدي، الدكتور (المحرر): محمد إقبال: قصائد مختارة ودراسات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2012م
12. خليفة عبد الحكيم: فكر إقبال، ايجوكيشنل پبلشننگ ہاوس ، علي گره، 1977م
13. سمير عبد الحميد إبراهيم (المترجم): ديوان الأسرار والرموز، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2009م
14. سهيل، البخاري: إقبال ايک صوفی شاعر، مكتبه أسلوب، كراتشي، 1988م
15. سيد عبد الله: مقامات إقبال (باللغة الأردوية)، دلهي، اردو بازار، مكتبة تشمن، (بدون تاريخ الطبع)

مجلة الهند

16. سيد عبد الماجد، الغوري (الإعداد): ديوان محمد إقبال، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، 2003م
17. شبلي النعماني، العلامة: شعر العجم، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، 1999م
18. شوقي ضيف، الدكتور: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م
19. عبد الحق، الدهلوي، الشيخ: أخبار الأخيار، أخبار الأخيار (ترجمة أردوية: محمد منير رضا قادري)، ماه نور بليكشنز، متيامل ، دهلي، 2005م.
20. عبد السلام، الندوي: إقبال كامل (بالأردية)، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، 1999م
21. گوبي چند نارنگ (المحرر): إقبال كا فن، ايجوكيشنل پبلشنگ هاوس ، دهلي، الطبعة الرابعة، 2007م
22. محمد إقبال: كليات إقبال (المجموعة الشعرية الأردية، شرح: عبد الحميد يزداني)، كتابي دنيا، دهلي، 2004م
23. محمد إقبال: كليات إقبال (المجموعة الشعرية الفارسية)، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، 1972م
24. الموقع على الإنترنت: www.elthwed.com/vb/showthread.php%3F2688-%25C7%25E1%25E
25. نيكولسون: The History of Arabic of Arabic Literature، ايديلفي تيريس، لندن، 1907م
26. يوسف حسين خان: روح إقبال (باللغة الأردية)، أكاديمية غالب، دهلي الجديدة، الطبعة السابعة، 1976م
27. يوسف سليم، الجشتي: شرح أسرار خودي، اعتقاد پبلشنگ هاوس، دهلي، 1998م